

إشكالية ترجمة المصطلح النقدي

عز الدين المخزومي

جامعة وهران

لقد عرف النقد العربي، في ظل النهضة الأدبية المعاصرة وتفتحها السريع على النقد الغربي، قفزات وثابة دفعت بمجموعات من النقاد إلى الخوض في غمارها ونقل ثمار الفكر النقدي السائد في مجالات الحياة الأدبية والنقدية المتنوعة عندهم، وذلك من أجل تجديد وإثراء النقد العربي بمفاهيم نقدية جديدة تسمو به وتجعله مواكبا للحركة النقدية العالمية المعاصرة.

كان هذا الدافع أو الحافز سابقا لتوحيد الرؤية العربية في تعاملها - منذ البداية - مع ما يُترجم من الفكر النقدي الغربي، وسبب ذلك أن العمل كان نتيجة جهود أفراد ساقطتهم الرغبة وحب الاطلاع على جديد الفكر النقدي الغربي، فراحوا يترجمون ويترجمون حتى كثرت هذه الترجمات .. فوجدنا أنفسنا نواجه أزمة أنتجتها ترجمة المترجمين للمصطلح الواحد التي جاءت متعددة، تتفاوت في دقة تحديد الدلالات التي يقصدها هذا المصطلح أو ذاك. وبتراكم الترجمات وتعدد المصطلحات - حسب تعدد ترجمات المصطلح الواحد - ووقوع الكثير منها في الغموض. هذا بالإضافة إلى وقوع المصطلح بين الترجمة الحرفية والترجمة المعرفية وبين التعريب ..

وانطلاقا من هذه الإشكالية التي نمت في حقل الترجمة، بل الترجمات الحرة التي تعود إلى اجتهادات المترجمين الخاصة، فإننا نرى أن غموض الكثير من المصطلحات يعكس، بصورة جلية، غموض الرؤية لدى الناقد العربي أو

عزالدين المخرومي

صعوبة استيعاب واقع المصطلح الغربي وفلسفته التي وُضع من أجلها للتعبير عنها بصورة تحمل شحنات فكرية وعاطفية خاصة، بعيدة عن استيعاب الناقد العربي ؛ لأنه ليس من بيئتها .. بكل ما تحمل من موروث ثقافي وحضاري وديني وفني.

ومن هذا الاعتقاد نرى أن ترجمة المصطلح تتعدّد بتعدّد رؤى المترجمين، ذلك أن كل واحد يترجمه - وهذا في إطار المصطلح الواحد - حسب استيعابه الشخصي لواقع وفلسفة المصطلح، وهنا تدخل ثقافته العامة والخاصة، أي رصيده المعرفي الذي يعكس درجة تمكنه من اللغة التي يُترجم منها، هذا إلى جانب اختصاصه في ميدان النقد المعاصر، لأنه إن تُرجم في ميدان النقد وهو بعيد عنه، فإنه سيفشل - لا محالة - ويكون المصطلح أو المصطلحات التي يترجمها ضعيفة، غير معبرة عن مقصودها الذي ضمّته فيها الذين وضعوها.

ونضيف إلى ذلك ضعف المتلقين، من غير المتخصصين، الذين يجهلون الكثير عن النقد الأدبي وأعلامه وثقافتهم وآثارهم ... ولعلّ من أكبر النقائص، في هذا المجال، قلة الترجمات في الموضوع الواحد التي تُكسب الناقد والقارئ - عموماً - فهما متكاملًا لحقيقة واقع هذه المدرسة النقدية أو تلك .. فنحن لا نملك ترجمة للأعمال الكاملة لأي ناقد غربي، لا في النقد الحديث ولا في النقد المعاصر، بل كلّ ما هنالك هو الاكتفاء بتقديم شذرات، ومتفرقات عن واقع هذه المدارس أو الاتجاهات، أو مسار بعض النقاد. لقد أسهم كلّ هذا - بدرجة كبيرة - في جعل الكثير من نقادنا المترجمين غير قادرين على استيعاب كلّ أصول ما يترجمون، وذلك برغم الجهود المضنية التي يبذلونها.

ولهذا نجد أن العامل الذي شارك في إضعاف وتعدّد أوجه المصطلح الواحد في النقد العربي - إلى جانب تصوّرات المترجمين العرب، كما ذكرنا -

هو مدى فهمهم للأسس الفكرية والفلسفية والفنية والتاريخية التي أسهمت في إيجاد هذا المصطلح أو مجموع المصطلحات الجديدة المعبرة عن التوجه الجديد لأصحاب هذه المدرسة النقدية أو تلك. إن ترجمة هذه المصطلحات وجدت أمامها معجما عربيا واسعا غنيا غنى فاحشا بالكلمات ومترادفاتها والمعاني في أدق دلالاتها، الشيء الذي ساعد نقادنا المترجمين على توليد ونحت كلمات مقابلة لترجمتهم للمصطلح الغربي فجاءت ترجماتهم للمصطلح الواحد متعددة، كما نرى - على سبيل المثال - في المصطلحين التاليين "structuralisme": الذي ترجم - أول ما ترجم - ب: "الهيكلية" ثم "البنوية" - بكسر حرف الباء وتسكين حرف النون - ثم "البنائية" و "البنوية" - بكسر حرف الباء وفتح حرف النون - (وهي من جمع كلمة "بنية" - بنى -) و "البنوية" - بضم حرف الباء وفتح حرف النون - (وهي من جمع كلمة "بنية" - بنى -) ...⁽¹⁾

وكذلك مصطلح "Sémiotique" و "Sémiologie" اللذين تنافسا على الزعامة في النقد المعاصر، وانتهى الأمر بالجمعية الدولية للسيميوطيقا - التي تأسست في فرنسا سنة 1974 - بتبني المصطلح الأول "سيميوطيقا" لانتشاره الواسع في ثقافة الدول الأنجلو - سكسونية والروسية، مع الاحتفاظ بمصطلح "سيمولوجيا" لرسوخه في فرنسا والدول الفرنكفونية.⁽¹⁾ ومن الملاحظ أن هذا المصطلح قد عرف في نقدا العربي فيضا من الترجمات التي ترجمها كل مترجم حسب فهمه ورؤيته له، وقد تمثلت في الحشد الهائل من الترجمات التالية:

السيميوطيقا، السيمولوجيا. الأعراضية، علم الرموز، الرموزية، علم الإشارة، الإشارية، الدلائلية، السيميائية، السيمياء، السيمية، السيمائية، علم

العلامات ، نظرية العلامات ، علامية (نسبة إلى علامة) . العلاماتية (نسبة إلى العلامات) (2).

إن كل هذه الترجمات لمصطلح السيميوطيقا تعكس حدود ودرجة استيعاب كل مترجم لأبعاد المصطلح الذي ترجمه ، كما تعكس - بالمقابل - آفاق رصيده الثقافي والمعرفي لفهمه خصوصية الآخر. ونجد أن كل مترجم يدافع عن المصطلح الذي تبنّاه في ترجمته ويعمل على استمالة الدارسين إلى تطبيقه في دراستهم .

وكل هذا خلق أزمة بلبت فكر النقاد وشوشت خطوات الباحثين في بحوثهم، وفي تعاملهم مع الدراسات النقدية، وبخاصة منها الحداثيّة التي حيرت الباحثين في تعاملهم مع المصطلح النقدي ... وهنا اختلط المصطلح مع شبه المصطلح وأحدثا صراعا فكريا وحيرة .

لقد برز كل هذا الاضطراب وهذا الغموض وهذا التشتت - في ترجمة المصطلح - في عدم وجود مرجعية للنقاد العرب تجعلهم يُنشئون، بصورة علمية تطبيقية، مركزا للتنسيق فيما بينهم في ظل غياب مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط، بدراسة أي مصطلح، بصورة علمية .. من أجل توحيد المصطلح النقدي، بحيث يحقق النقاد هدفين - في آن واحد -، يتمثل الأول في مراجعة المصطلح من جانب دلالاته وحصر أبعاده الفكرية والفلسفية والفنية .. التي يعكسها ... ويتمثل الجانب الآخر في إبراز قيمة المصطلح العربي المترجم والموحد.

ومن هذا المنطلق أشير إلى أنه لا يمكن اعتبار الترجمات المتعددة لمصطلح واحد " مصطلحات "، وذلك لأن المصطلح في لغته الأصلية قد وصل إلى هذه الدرجة بعد اصطلاح النقاد الغربيين حوله. أمّا ترجمتنا لهذا المصطلح فلا يمكن أن نسميها مصطلحات، لأننا لم نصطلح عليها ولم ينل الواحد منها

إشكالية ترجمة المصطلح النقدي

موافقة - بإجماع نقادنا - بالاصطلاح عليه، فهو ترجمة - أو ترجمات - للمصطلح الأصل، وهل يعقل في واقع الأمر أن نقبل حشداً من الترجمات للمصطلح الواحد ونرفع أصواتنا معترزين بها ؟

ونعود لنؤكد ما قلناه، أليس هذا تشتتاً ذهنياً يرمي بنا في متاهات تشوش فكر الناقد والمتلقي معاً، وتكريساً للأخطاء المرتكبة، المساعدة على هذا التشتت...؟!

لا شك أننا لا نختلف عندما نقف أمام حشد هائل من الترجمات للمصطلح " الغربي الأصلي " - في النقد الحداثي بخاصة - في أن كل واحد منا يتبنى مصطلحات يميل إليها في محاضراته عن النقد أو في مؤلفاته أو في مقالاته. وقد راح العديد من الأساتذة يطلبون من الطلبة الذين يشرفون عليهم في دراساتهم الجامعية تبني مصطلح واحد في معالجتهم لقضية من قضايا النقد، وذلك تجنيباً لهم من استعمال كل الترجمات للمصطلح الغربي الواحد.

إن هذه الكثرة قد أحدثت وتحدث لدى القارئ بلبله وتشتتاً ذهنياً يؤثر على درجة استيعابه الكلي لما يقرأ - وبخاصة إذا تناول، في دراسته، مجموعة من المؤلفات المتخصصة في موضوع محدد كالبنوية التي يجد لها، كما سلف الذكر، أكثر من صيغة في مختلف الدراسات التي بين يديه، وبخاصة في قيامه بتوظيف نصوص مختلفة منها، في بحثه، ... إذ نراه يورد المصطلح - للأمانة العلمية - كما ورد في الكتاب المترجم لأنه لا يستطيع التصرف في النصوص وتوحيد ترجمة المصطلحات الواردة فيها، حسب ما يراه صالحاً، وحتى وإن أوردها حسب رغبته، فإن غيره قد يورد المصطلحات - في بحثه - حسب ما يراه مناسباً له، وهنا يزداد التشتت وتتسع الهوة بين النقاد.

إن الأنانية الثقافية، حسب رأيي الخاص - أقول هذا بكل تأكيد - وعدم التنازل والاتفاق مع المترجمين الآخرين من أجل توحيد ترجمة المصطلح، وهذا لخدمة النقد العربي والنهوض به، بإخراجه من فضاءات التيه والحيرة .. ومما لا شك فيه أن الكثير من النقاد ومن أساتذة الجامعات المتخصصين قد وقفوا عند هذه الحقيقة وأدركوا جوانب الخلل التي عكسها حبّ الظهور الذي أملتة الفردية على الكثير من واضعي المصطلحات في نقدنا العربي. والعامل الذي ساعد على ذلك هو - كما سلف الذكر - تعدّد مصادر ترجمته ووضعه في الوطن العربي، وذلك على الرغم من وجود مجامع لغوية لها كلمتها وموقفها العلمي.

وقد تنبّه المجمع أحمد مختار عمر إلى هذا الخلل ونسبه إلى " تعدّد جهات وضع المصطلح (المجامع والهيئات) دون تنسيق حقيقي بينها (رغم وجود ما يُسمّى بمكتب تنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط)، واختلاف مشارب الأفراد الذين يُساهمون في وضع المصطلح، وميل معظمهم إلى الفردية " (3).

ونذكر من العوامل الأساسية التي أدت بهذه الفردية إلى الوقوع في فوضى ترجمة المصطلح - كما نتصوّر - وتعدّد أوجهه أو صوره ؛ إذ أصبح مسميات عديدة لشيء واحد، فالاختلاف في ترجمة الكلمة أو المصطلح الذي يعود إلى اختلاف في الفهم يعكس بُعد ثقافة المترجم في اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها، إلى جانب رصيده اللغوي أو معجمه في اللغتين، فكلما كانت ثقافته عميقة كان فهمه دقيقا مستوعبا لحقيقة النصّ المترجم، ومن ثمّ يأتي النصّ قويا مُعبّرا عن المعنى تعبيراً دقيقاً، ويأتي المصطلح كذلك محدداً لأبعاد المنهج الذي هو أحد أركانه الأساسية المعبرة عن فلسفته وآفاقها في إطار نظرية الأدب و النقد .

ولهذا، نجد أن الخلل الذي يقع بين المترجمين يُنسب إلى المترجم، كما يرى "ف. هـ. إنج - V. H. INGUE" في باب حديثه عن سقطات المترجمين، ومجازفاتهم التي ترجع في أساسها إلى جانب "الترجمة الانطباعية"، وخطورة تأويل العمل التي يقع فيها الكتاب المترجمون حينما يتبعون أهواءهم⁽⁴⁾، ولم ينجُ المترجم الفني كذلك من الوقوع في هذه الأخطاء والتجاوزات التي تنتجها الذاتية، وذلك "عندما يغدّي تفاصيل النصّ المراد دراسته بمعرفته الخاصة لحالات مماثلة لتلك التي وردت في النصّ"⁽⁵⁾، الشيء الذي يدفعه إلى "استنباط المعنى المحتمل لمثل هذا النصّ الغامض"، وهذا يؤدي به إلى خطر القيام بنسبة "معانٍ للمؤلف لم يُردها ولم تخطر له على بال، وهي معانٍ تولدت من ذهن القارئ أو المترجم"⁽⁶⁾.

نفهم من ذلك، أن المترجم، كما بين "ف. هـ. إنج - V. H. INGUE" "قد ينزلق إلى الذاتية وما تولّد من أهواء، حيث يفقد الأمانة في الترجمة ويحمل النصّ أو المصطلحات ما لا تتحمّله فتأتي في صورة مهزوزة، تنقل الغموض إلى المتلقّي ولا تعطيه الصورة الحقّة المقصودة من المصطلح في لغته الأصلية وتتولّد هنا فروق بين ترجميّات الكاتب الواحد والمصطلح الواحد، تؤكد سقطات الفردية في أبعادها الانطباعية المفضّلة للمترجم نفسه، دون أدنى وعي منه، بحيث تعطينا ركاما من الجهود ترهقنا بقدر ما تفيدنا لأنها تسهم في تشتيت أذهاننا. وهنا يقع اللوم على المجامع اللغوية العربية وبخاصة "مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط". لأنها أسهمت بتوانيتها وصمتها وتخليها عن واجبها في خالق هذا التشّت الذي عرفه الفكر العربي في هذا الزمان، استعصم الأدبية والنقدية.

إنّ كلّ هذا يدعونا إلى الوقوف عند الحلول العملية التي تعالج إشكالية ترجمة المصطلح النقدي التي عرفنا أبرز جوانبها المشكّلة للأزمة عندنا، وذلك

عرالدين المخزومي

لنحرر فكرنا النقدي من الفردية والانطباعية، ونلتزم بمبادئ علمية تقوم على أسس ثقافية وعلى روح التعاون الجماعي والتّسيق، وبناءً على كل هذا نقول: إنّ أبرز إشكاليات ترجمة المصطلح تعود في أساسها إلى المترجم ذاته، لأنّه هو الفاعل الذي ينتج هذه المصطلحات ويحدد مسارها ويوظفها، بل يدعو - من مضمون ترجمته - إلى تبنيها والعمل بها، لتكتسب بذلك الشرعية والسيادة في ميدانها .. وأول شيء يسوقنا إلى الحديث عن المترجم هو ثقافته التي هي عماد وظيفته، وهي تتمثل المحاور التالية :

درجة تخصصه في الميدان الذي يترجم له ..

- إلمامه باللغة التي يترجم منها ومعرفة أسرارها.
- إلمامه باللغة التي يترجم إليها إلماما دقيقا.
- إلمامه بقواعد الترجمة وأصول التعريب، بحيث يكون دقيقا في الترجمة وقادرا على اختيار الكلمات المناسبة في تعريفه للكلمات والمصطلحات حتى تصبح ذات ذوق عربي دون خلل.

- إلمامه بتاريخ أدب الكاتب أو الناقد الذي يترجم له، وأقصد الأدب الأصل وليس أدب اللغة التي يترجم منها، لأن الكاتب أو الناقد قد يكون ألمانيا والمترجم يترجم عمله من اللغة الفرنسية أو الإنجليزية أو الأسبانية.

- إلمامه بالحركة النقدية التي ينتمي إليها، والتّعرف على مسارها التاريخي للوقوف عند أسباب النّشأة والتّطور.

- التّعرف على سبب وجود سيلاذ وتطور المصطلح " Le surréalisme "، فالسريالية مثلا وجدت بفلسفتها الهروبية من الواقع ..، نتيجة الثورة على القيم

إشكالية ترجمة المصطلح النقدي

والمفاهيم السائدة في الغرب، التي لم تستطع حماية البشرية - في الحرب العالمية الأولى - من تدمير نفسها، ففكرت بتلك القيم وراحت تبحث عن قيم جديدة فوق الواقع، وكذلك المجال بالنسبة لظهور مصطلح الوجودية عند سارتر ودي بوفوار وألبير كامي، فهي قد ظهرت رد فعل ضد الواقع المأساوي الذي عاشته البشرية إبان الحرب العالمية الثانية، حيث دمرت نفسها وسقط عشرات الملايين من البشر، فوجدت الوجودية الملحة عنده، التي كفرت بكل القيم السائدة التي عجزت عن حماية البشر .. وهذا ينطبق على كل المدارس الأدبية والنقدية بدون استثناء، فمنها التي ضاقت - من قبل - بالنظريات العلمية التي طبقت على الأدب كالتأثرية " l'impressionnisme " ولهذا، فإن كل منهج، هو وليد ظروف - اجتماعية أو سياسة أو ثقافية أو اقتصادية ومنها من ضاقت بالواقع الاجتماعي الاقتصادي كالمنهج الاجتماعي والمنهج الماركسي في الأدب والنقد اللذين ثارا ضد هيمنة البرجوازية على الاقتصاد والسلطة ...

على المترجم هنا أن يكون واعيا بكل ذلك حتى يتمكن من فهم فلسفة المصطلح وسبب بروزه، إن المصطلح يحمل كل تلك الشحنات الفلسفية المعبرة عن حقيقة مضمونة .

وانطلاقا من ذلك يمكن للمترجم - بما اكتسب من ثقافة ووعي نقدي ورهافة حس - أن يصوغ ترجمة المصطلح الذي يريده، ترجمة دقيقة، يختار لها الكلمات الدقيقة التي تعبر عن مدلوله في أدق معانيه وأبعد مقاصده.

عزالدين المخزومي

حينما يحترم كل مترجم متخصص هذه القيم الفكرية والثقافية وينسّق العمل مع زملائه المترجمين مثله، في إطار استحداث جمعية للمترجمين المتخصصين في ميدان الأدب والنقد، تنسّق مع مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط من أجل دراسة كل الترجمات التي قامت بترجمة المصطلح، وذلك بغية توحيدها ؛ باختيار الترجمة الأوفى والأنسب التي يمكن أن نقابلها بالمصطلح الغربي المترجم. حينما نحترم كل هذه القيم نكون، قد أزحنا أسباب الأزمة التي شوشت الفكر وقلّلت من القدرة على الاستيعاب الدقيق والواضح لفلسفات المدارس النقدية الغربية المعاصرة.

وأختم هذه المداخلة بالإشارة إلى أن هناك من النقاد العرب من بذلوا جهوداً جبّارة من أجل تأسيس فكر نقدي عربي أصيل يقوم على الوعي بالذات. وبالأخر والعمل على إرساء قواعد تسهم في توحيد الرؤية التي توحد المفاهيم والمصطلحات والفكر الذي يعدّ الرابط الأساس لوحدة هذه الأمة.

الهوامش

1. ينظر مصطلح " السيميولوجيا " في كتاب مدخل إلى السيميوطيقا إشراف، سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد ، دار إلياس العصرية ، القاهرة 1986. ص (351 - 352) .
2. للتعرف على أصحاب هذه الترجمات ، ينظر كتاب " نظرية المصطلح النقدي " ، للدكتور عزت محمد جاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2002) ، ص (265 - 268) .
3. أحمد مختار عمر. المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية ، مجلة عالم الفكر . المجلد (20) ، العدد 03 (أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر 1989) ، الكويت ، ص (14) .

إشكالية ترجمة المصطلح النقدي

4. ينظر كتاب علم الترجمة لجورج موانان ، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم،
مراجعة أحمد فؤاد عفيفي ، المشروع القومي للترجمة ، رقم (290) ،
المجلس الأعلى للثقافة (2002) ، القاهرة ، ص (09) .
5. المرجع السابق ، نفس الصفحة .
6. نفس المرجع والصفحة .